***Journal of Religion & Society* (JR&S)**
Available Online:
https://islamicreligious.com/index.php/Journal/index
Print ISSN: 3006-1296Online ISSN: 3006-130X
Platform & Workflow by: Open Journal Systems

Uslūb al-Hakīm in Prophetic Hadith and Its Educational Impact

أسلوب الحكيم في الحديث النبوي وأثره في التعليم

Dr.Noor Ul Haq
Postdoctoral Research Fellow at the Islamic Research Institute (IRI), the International Islamic University Islamabad/Assistant Professor at Alghazali University Karachi
noorulhaq393@gmail.com
Rafay Ul Qadar
Ph.D Scholar Federal Urdu University Karachi
Rafayulqadar81@jmail.com
Muhammad Anas Bin Ali Muhammad
Scholar of Research Federal Urdu University Karachi
Muhammadanas65066@gmail.com

Abstract

This research explores the concept, forms, and educational effects of Usloob al-Hakeem as employed by the Prophet Muhammad (peace be upon him) in his Ahadoth. The study analyzes how this rhetorical style not only serves eloquence but also fulfills deep educational, ethical, and spiritual goals. Through qualitative and analytical methodology, the paper highlights how the Prophet's responses, often diverging from the expected answer, guided the questioner towards more beneficial knowledge or moral insight. The findings show that Usloob al-Hakeem is a highly effective teaching strategy that promotes critical thinking, emotional intelligence, and moral development. It holds valuable lessons for modern educators, especially in Islamic and traditional pedagogical contexts.

***Keywords**: Usloob al-Hakeem, Hadith, Rhetoric, Islamic Education, Prophetic Wisdom, Teaching Methods, Moral Development, Pedagogical Strategy, Indirect Guidance, Educational Psychology.*

التمهيد

إنّ أحاديث النبي –صلى الله عليه وسلم– ليست مجرّد كلمات منثورة، ولا أقوالًا عابرة، بل هي ينابيع حكمة متدفّقة، ومشاعل هداية لا تخبو على مرّ الدهور. فهي جوامع الكلم التي اختصر بها –صلى الله عليه وسلم– المعاني الغزيرة في عبارات موجزة، فغدت كلماته قبسًا من نور يُضيء دروب الفكر، ويهدي مسالك القلوب، ويصوغ النفوس على منهاج النبوّة.

وقد تجلّى في حديثه الشريف –صلى الله عليه وسلم– أساليب بيانية بديعة، تمزج بين دقّة المقصد وسموّ التعبير، وكان من أروعها وأدقّها: أسلوب الحكيم، وهو ضرب من ضروب البيان، يتجاوز ظاهر السؤال إلى ما هو أولى بالجواب، موجّهًا السائل نحو الغاية الحقيقية، وموقظًا فيه وعيًا لم يدركه بعد. إنه أسلوب يجمع بين الفطنة والرحمة، وبين البصيرة والتوجيه، ويُعدّ من دلائل النبوّة في تربية العقول وصقل الأفهام.

ولم يكن هذا الأسلوب مجرد ترفٍ لغوي أو صنعة بيانية، بل كان أداةً نبويّة فعّالة في التعليم والإصلاح والتوجيه، يُلامس به الرسول –صلى الله عليه وسلم– أعماق النفوس، ويحرّك به سواكن الفكر، فيرشد، ويقوم، ويعلّم، ويزكّي. فهو أسلوب يخاطب باطن الإنسان قبل ظاهره، ويصلح العقل والوجدان معًا.

هذا البحث يكشف ملامح هذا الأسلوب البديع في أحاديث سيد المعلّمين –صلى الله عليه وسلم– من خلال تحليل نماذج مختارة من نصوصه الشريفة، والوقوف على دقائق استعماله، واستنباط آثاره التربوية والتعليمية. كما يهدف إلى بيان كيفية إسهام هذا الأسلوب في ترسيخ القيم، وتقويم السلوك، وتجلية المفاهيم، حتى غدا سِمة من سمات الخطاب النبوي، وعلامة من علامات التربية الربانية.

وإنّ الخوض في أسرار هذا الأسلوب لا يزيدنا إلا يقينًا بأنّ النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يكن مبلّغًا فحسب، بل كان معلّمًا حكيمًا، يعرف كيف يوجّه الكلمة إلى موضعها، فيوقظ بها غافلًا، ويهدي بها حائرًا، ويؤسس بها أمة. وإنّ في إعادة قراءة هذا الأسلوب اليوم، في ظلّ ما نعيشه من تشويشٍ فكري واضطرابٍ تربوي، فرصةً ثمينة لاستلهام معالم خطاب رشيد، يعلّم بالحكمة، ويربّي بالرحمة، ويدعو بالبصيرة.

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج أحد الأساليب البيانية النبوية التي جمعت بين البلاغة والفطنة والعمق التربوي. فـ"أسلوب الحكيم" لا يزال يُعدّ نموذجًا تربويًا راقيًا يمكن أن يستلهم منه المربّون والدعاة والمعلمون في خطابهم المعاصر، ويستفيدوا من بصيرته في إيصال الحقائق، وتصحيح المفاهيم، وتربية العقول والقلوب على سواء.

تعريف أسلوب الحكيم لغة واصطلاحا:

التعريف اللغوي والاصطلاحي للأسلوب الحكيم:

إن مصطلح "أسلوب الحكيم" مركّب من كلمتين، فينبغي أن نبيّن تعريف كل واحدة منهما على حدة:

أولًا: التعريف اللغوي لكلمة "أسلوب":

"الأسلوب" في اللغة مأخوذ من الجذر الثلاثي (س–ل–ب)، ويُفيد معنى "الطريق" أو "المنهج" أو "الفنّ". وقد ذكر ابن فارس أن الحروف الأصلية لكلمة "أسلوب" هي السين واللام والباء، ومعناها الأخذ بلطف أو التناول برفق[1].

وقد بيّن الزرقاني أن "الأسلوب" يُطلق في اللغة على معانٍ متعددة، كالممرّ بين الأشجار، أو نوع من الفنون والمناهج، أو ارتفاع الأنف، أو عنق الأسد، ويُطلق كذلك على أسلوب الكلام. فإن الأنسب من بين هذه المعاني هو: "طريقة التعبير أو فنّ الخطاب[2]".

لذا يمكن أن نُعرّف "الأسلوب" من الناحية اللغوية بأنه: "طريقة التعبير أو فنّ إيصال المعنى".

ثانياً: التعريف اللغوي لكلمة "حكيم":

---

(1) مقاييس اللغة (3/ 92) دار الفكر

(2) مناهل العرفان في علوم القرآن (302/2)

كلمة "حكيم" مأخوذة من الجذر (ح-ك-م)، والذي يدلّ على المنع، لأن الحكمة تمنع من الجهل والانحراف، حسب ما قاله ابن فارس[3]. وقد ذكر المبرد أن "الحكيم هو من يُدرك الحقّ ويقول به[4]".

كذلك قال ابن فارس: الحروف الأصلية لكلمة "حكيم" تدل على "المنع"، أي المنع عن الخطأ والضلال. ومن هنا جاء معنى الحكمة بمعنى إصابة الحق، والمنع عن الزلل.

وبناءً على هذه المعاني، يمكن القول إن "الحكيم" في اللغة هو: "من يُدرك الحق، ويكون تامًّا في قوله وفعله، ويمنع نفسه وغيره من الخطأ والفساد[5]"

ثالثاً: التعريف اللغوي لمصطلح "أسلوب الحكيم":

في اصطلاح علم البلاغة، عبّر العلماء عن "أسلوب الحكيم" بعبارات مختلفة، غير أن المعنى العام لها واحد.

فقد قال الجرجاني: "أسلوب الحكيم هو أن يُذكَر أمر ما على سبيل التعريض أو الإشارة، بأسلوب يُبرز جانبًا أكثر أهمية، وذلك من أجل تنبيه المتكلِّم إلى الجهة التي أغفلها أو غفل عنها.[6]"

أما السكاكي، فقد عرّفه بقوله:

"هو أن يُجاب السائل أو المخاطَب بجواب لا يتوقعه، ليلفت نظره إلى ما هو أولى وأهم مما سأل عنه."

وبذلك يتضح أن "أسلوب الحكيم" في الاصطلاح هو: "العدول عن الجواب المتوقع إلى جواب أنفع وأهم، بقصد توجيه ذهن المخاطب إلى ما ينبغي أن يُلتفت إليه[7]".

أقسام أسلوب الحكيم في البلاغة (مع تطبيقات نبوية):

يُعدّ أسلوب الحكيم من الأساليب البلاغية التي تُستَعمل بخلاف الظاهر، وهو يقوم على صرف الكلام عن المتوقّع إلى ما هو أنفع وأولى، وله في علم البلاغة قسمان رئيسيان، اتفق عليهما جمهور البلغاء، وتندرج تحتهما غالب الأمثلة الواردة في النصوص.

القسم الأول: وفي هذا النوع، يُفهم من كلام السائل أو المخاطب معنى ظاهر، لكن المتكلِّم يحوّل هذا الظاهر إلى معنًى آخر أعمق وأهمّ، للتربية أو التنبيه أو التوجيه، دون توبيخ أو شدّة.

تطبيق نبوي:

روت السيدة عائشة -رضي الله عنها-، قالت: "دُعي رسولُ الله إلى جنازةِ صبيٍّ من الأنصار، فقلتُ: يا رسول الله! طوبى له، عصفورٌ من عصافير الجنة، لم يعمل سوءًا، ولم يُدرِكْه البلاء." فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أوَغيرَ ذلك يا عائشة؟! إنّ الله خلق للجنة أهلًا وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا وهم في أصلاب آبائهم. "[8]

---

[3] مقاييس اللغة (2/ 91)
[4] شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (1535/3)
[5] مختار الصحاح (ص78)
[6] التعريفات (ص 23)
[7] مفتاح العلوم (ص 32)
[8] صحيح مسلم (رقم 2662)

في هذا المثال، لم يُقابل النبي –صلى الله عليه وسلم– كلام عائشة بتأييد مباشر، بل صرف الحديث إلى بيان قاعدة إيمانية أعظم، تُنبهها إلى خطورة الجزم بمصير الغيب، حتى في حقّ من لم يعمل سوءًا، لأن العلم بذلك من شأن الله وحده.

وهذا نموذج جليل من أسلوب الحكيم، الذي يُخالف فيه النبي –صلى الله عليه وسلم– ظاهر التوقّع، لمقصدٍ تربويّ رفيع.

تحليل:

إن السيدة عائشة –رضي الله عنها– قد جعلت النجاة في الجنة أمرًا جازمًا للصبي، مستدلة بأنه لم يرتكب ذنبًا ولم يُدرك زمن الفتنة. فالنبي –صلى الله عليه وسلم– غيّر فكرها إلى أن مصير الناس من الغيب الذي لا يُقطع فيه إلا بدليل من الوحي، بلطف وحكمة، فبيّن قاعدة ربانية: أن الله خلق للجنة أقوامًا وهم لا يزالون في أصلاب آبائهم، وخلق للنار مثل ذلك.

وهذا لا يُعدّ ردًّا مباشرًا أو مخالفة صريحة لكلامها، كما لا يُعدّ موافقة صريحة، بل هو عدول عن الجواب الظاهر إلى ما هو أولى وأعمق من حيث الفائدة والهدف، وهذا هو جوهر أسلوب الحكيم: أي توجيه المخاطَب إلى ما هو أحقّ بالانتباه.

القسم الثاني: إعطاء السائل جوابًا لم يسأله ظاهرًا، لكنه أنفع له:

وهذا النوع من أسلوب الحكيم يتمثّل في أن يُوجَّه السائل إلى أمر أنفع له من موضوع سؤاله، دون أن يُلغى سؤاله أو يُهمل، بل يُستبدل بجواب أعلى نفعًا وأعظم مقصدًا، فيه تربية أو تعليم أو ترغيب، وقد لا يكون الجواب متعلّقًا بالسؤال في الظاهر، لكنه يرتبط بحقيقة حاجة السائل.

مثال نبوي: عن أنس رضي الله عنه: أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال: متى الساعة؟ قال: "وماذا أعددت لها؟ قال: لا شيء ، إلا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال: أنت مع من أحببت . قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: أنت مع من أحببت ".

قال أنس : فأنا أحب النبي –صلى الله عليه وسلم– وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم ، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.(9)"

التحليل:

هذا السائل سأل عن وقت قيام الساعة، وهو سؤال عن غيبٍ لا يعلم وقته إلا الله. لكن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يُجبه على ظاهر سؤاله، بل صرفه إلى ما هو أنفع له: وهو الاستعداد للساعة لا التوقيت. فبيّن له –صلى الله عليه وسلم– أن الأهم من معرفة الوقت هو أن يستعد الإنسان لها.

(9) صحيح البخاري، (12/5) (رقم 3688)

وقد أجاب –صلى الله عليه وسلم– بجواب لم يطلبه السائل مباشرة، لكنه أنفع له تربيةً وتوجيهًا، دون أن يُشعره بأن سؤاله غير مناسب، بل حوله إلى فرصة عظيمة للتعليم.

مثال نبوي: روى أبو أُمامة –رضي الله عنه– أن أبا ذرٍّ –رضي الله عنه– قال: "يا رسولَ الله –صلى الله عليه وسلم–: ما الصدقة؟" فقال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم–: "مُضاعفة، وأفضل عند الله.[10]"

التحليل:

في هذا الحديث، لم يُجب النبي –صلى الله عليه وسلم– أبا ذرٍّ على ظاهر سؤاله الذي قد يُفهم منه الاستفسار عن تعريف الصدقة أو أنواعها، بل وجّهه إلى ثمار الصدقة وأثرها العظيم عند الله. فقد ركّز النبي –صلى الله عليه وسلم– على النتيجة والمكافأة، لا على التفاصيل المعرفية، لأن السائل لم يكن في مقام التعليم المجرّد، بل في حاجة إلى التحفيز والترغيب. وهذا من بلاغة الأسلوب النبوي، حيث يُستخدم أسلوب الحكيم بتجاوز ظاهر السؤال، إلى ما ينفع السائل واقعًا ويبعثه على العمل، وهو هنا: الحثّ على الصدقة بإظهار فضلها وثوابها العظيم.

الأهداف البلاغية لأسلوب الحكيم:

يُعدّ أسلوب الحكيم من أعلى أساليب البلاغة وأدقّها، ولا يُلجأ إليه إلا عندما يكون المقصود أبعد من ظاهر الألفاظ، ويتعلّق بعمقٍ فكريّ أو هدفٍ تربويّ. وقد صرّح علماء البلاغة بأن العدول عن ظاهر الكلام في هذا الأسلوب لا يكون إلا عند الحاجة، عندما تقتضي مقامُ الخطاب وحالُ السائل وطبيعةُ النفس المخاطَبة أن يُوجَّه الجواب إلى ما هو أنفع وأبلغ تأثيرًا.

ولأسلوب الحكيم مقاصد بلاغية متعدّدة، من أبرزها:

١. لفت الانتباه إلى ما هو أولى وأهم:

ويُعدّ هذا من أعظم مقاصد أسلوب الحكيم، إذ يُقصَد به صرف السامع عن مسألةٍ أقلّ نفعًا إلى أخرى أنفع له وأولى بالاهتمام، دون أن يُهمل كلامه، بل يُعاد توجيه فكره.

مثال نبوي:

سُئل رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أيّ الحجّ أفضل؟" فقال –صلى الله عليه وسلم–: "العَجُّ والثَّجُّ.[11]"

– العجّ: رفع الصوت بالتلبية.

– الثجّ: إراقة دم الهدي (الأضاحي).

التحليل:

يبدو أن السائل كان ينتظر إجابة تتعلّق بوقتٍ معيّن أو مكانٍ محدد أو صفةٍ ظاهرية للحج الأفضل، لكن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يحدّد تلك التفاصيل، بل وجّهه إلى روح العبادة وجوهرها: الإخلاص لله تعالى، وتعظيم الشعائر، فأرشده إلى أهمّ ما يجعل الحجّ مبرورًا ومقبولًا: التلبية الخاشعة، وسفك الدم تقرّبًا لله، وهما من شعائر الله

---

(10) أخرجه أحمد في المسند (5/ 265)

(11) [البخاري: 827]

العظيمة، وبذلك، تحقّق في هذا الموقف أحد أبرز أهداف أسلوب الحكيم: تحويل ذهن السائل من الجوانب الثانوية إلى المقصد الأسمى الذي ينبغي أن يشغل قلبه وعمله.

٢. تصحيح الفكر وتقويم التصوّر:

ومن أبرز مقاصد أسلوب الحكيم أيضًا: تصحيح المفاهيم الخاطئة التي قد تكون مستقرة في ذهن السائل أو المخاطَب، وذلك بأسلوب لطيف غير مباشر، لا يُشعره بالإحراج أو التوبيخ، بل يُوجَّه بلينٍ وحكمة نحو الفهم الصحيح.

مثال نبوي: روى أبو هريرة –رضي الله عنه–: أن رجلًا قال للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "وُلد لي غلام أسود!" فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: "هل لك من إبل؟" قال: "نعم." قال: "ما ألوانها؟" قال: "حُمر." قال: "هل فيها من أورق (أي: أسمر أو مائل إلى الغبرة)؟" قال: "نعم." قال: "فأنّى أتى ذلك؟" قال: "لعله نزعه عِرق." فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "فلعل ابنك هذا نزعه عرق."[(12)]

التحليل:

هذا الرجل كان يشكّ في نسب ابنه بسبب لونه المختلف، فجاء يسأل النبي –صلى الله عليه وسلم–، وربما يحمل في نفسه وسوسة أو ريبة، لكن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يواجهه بالنفي أو التأنيب، بل ساق له مثالًا عمليًا مألوفًا من بيئته، وقرّبه إلى ذهنه خطوةً خطوة، حتى أوصله إلى الجواب من نفسه، ثم ختم النبي –صلى الله عليه وسلم– الحديث بنفس العبارة التي قالها الرجل، فقال: "فلعل ابنك هذا نزعه عرق"، فكان ذلك أسلوبًا بالغ الحكمة، أصلح به تصوّرًا خاطئًا، من غير أن يجرح مشاعر السائل أو يضعه في موقف حرج.

٣. التعليم والتربية غير المباشرة:

ومن أهداف أسلوب الحكيم: التعليم غير المباشر، حيث يُوجَّه المخاطَب نحو الصواب بلا تعنيف أو توبيخ، بل بلطفٍ ورفق، وبطريقة تناسب مقامه ومكانته.

مثال نبوي: روت السيدة عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال في مرض موته: "لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد."[(13)]

التحليل:

هذا القول النبوي الكريم لم يُوجَّه للصحابة الكرام على سبيل المباشرة أو الإنكار الصريح، بل جاء في سياق عامّ تحذيري، يُشير إلى ما وقعت فيه الأمم السابقة من الغلوّ في الصالحين، واتخاذ قبور الأنبياء مواضع للعبادة، فأراد النبي –صلى الله عليه وسلم– أن ينبه أمته في مرض الموت بلغة غير مباشرة إلى خطورة هذا الفعل، دون أن يُصدر أمرًا مباشرًا أو لومًا، بل اكتفى بذِكر حال الغير مع لعن هذا الفعل، وهو ما يغرس في قلوب الصحابة الوعي بخطر

---

(12) صحيح البخاري، (رقم 5305)

(13) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب "هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد"، حديث (رقم: 435)

التشبّه، والحذر من وسائل الشرك، وهذا من أرقى نماذج أسلوب الحكيم في التربية الهادئة، التي تُحقق أثرًا بالغًا دون إثارة حساسية أو استعلاء في الخطاب.

٤. رفع الحرج بلطف ورحمة:

من خصائص أسلوب الحكيم البارزة: رفع المشقة والحرج عن المخاطب بلينٍ ورفق، دون توبيخ أو إحراج، وذلك من خلال تقديم حلٍّ تدريجي يتناسب مع حالته، مع الحفاظ على كرامته ومكانته.

مثال نبوي: عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: بينما نحن جلوس عند النبي –صلى الله عليه وسلم– ، إذ جاءه رجل، فقال: "يا رسول الله! هلكتُ." قال: "وما أهلكك؟" قال: "واقعتُ أهلي في رمضان." فقال: "هل تجد رقبةً تعتقها؟" قال: "لا"، قال: "فهل تستطيع صيام شهرين متتابعين؟" قال: "لا." قال: "فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟" قال: "لا"، فمكث النبي –صلى الله عليه وسلم– ثم أُتي بسَوقٍ فيه تمر، فقال: "أين السائل؟" قال: "أنا." قال: "خذ هذا فتصدّق به." قال: "على أفقر مني؟! ما بين لابتيها أهل بيتٍ أفقر من أهل بيتي." فضحك النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى بدت نواجذه، ثم قال: "أطعِمه أهلَك.[14]"

التحليل:

نجد في هذا الموقف النبوي أروع صور الرحمة واللطف في المعالجة التربوية. لم يُعنّف النبي –صلى الله عليه وسلم– الرجل، ولم يُحرجه أمام الناس، بل سأله بأسلوبٍ هادئ، وقدم له الحلول تدريجيًا حسب استطاعته، حتى بلغ حدّ العجز الكامل، ثم لم يُدعه في ضيق، بل تحوّلت الكفّارة إلى رزق له ولأهله، مما رفع الحرج، وأبقى أثر الموعظة في القلب مع حفظ الكرامة والرحمة، وهذا هو أسلوب الحكيم في أعلى مراتبه.

٥. مراعاة المقام والتأدب في الجواب:

من سمات أسلوب الحكيم أيضًا: الدمج بين صدق الجواب وأدب الخطاب، ومراعاة قدر المخاطَب ومقامه، وذلك بإعطاء الجواب الصحيح دون أن يُسبب حرجًا أو انتقاصًا.

مثال نبوي غير مباشر: عن أبي رُزَين –رضي الله عنه–، أن العباس بن عبد المطلب –رضي الله عنه–، –عمّ رسول الله– سُئل: "أأنت أكبر أم رسول الله ؟" فقال: "هو أكبر مني، وُلدتُ قبله.[15]"

التحليل:

في هذا الجواب يظهر أدب العباس رضي الله عنه، إذ جمع بين بيان الحقيقة الزمنية – أنه وُلد قبل النبي –صلى الله عليه وسلم– وبين الإقرار بعظمة مقامه، فقال: "هو أكبر مني"، أي في القدر والرسالة، فهذا من أسلوب الحكيم، الذي يُجيب دون أن يُثير حساسية، بل يُراعي مشاعر السامعين، ويُظهر التفوّق المعنوي مع الالتزام بالصدق التاريخي.

٦. المزاح البليغ وحُسن الطبع:

---

(14) صحيح البخاري، (رقم الحديث 1936)

(15) المصنف ابن أبي شيبة (ص205 رقم 6)

يُستخدم أسلوب الحكيم أحيانًا في مزاحٍ لطيف بليغ، لا يتجاوز حدود الصدق، ولا يُضعف من هيبة الكلام أو مكانة المتكلّم، بل يُضفي سرورًا ويجمع بين الدعابة والتوجيه.

مثال نبوي: روى أنس بن مالك –رضي الله عنه–: أن رجلًا قال للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "يا رسول الله، احملني!" فقال –صلى الله عليه وسلم–: "إنا حاملوك على ولدِ ناقة." فقال: "وما أصنع بولد ناقة؟!" فقال –صلى الله عليه وسلم–: "وهل تلد الإبل إلا النوق؟[16]"

التحليل:

في هذا المثال يظهر مزاح النبي –صلى الله عليه وسلم– البليغ، إذ أجاب الرجل بجواب يبدو غريبًا، ثم أوضح المعنى بلطفٍ وابتسامة: أن كل ناقة تُنجب جملًا يُركب عليه، فهو مزاحٌ: ليس فيه كذب، ولا سخرية، ولا يخلو من تعليم، بل يُرسي مبدأ التوسّع في التعبير، ويُعلّم بلطف أن كل كبيرٍ كان صغيرًا يومًا ما، وفيه أيضًا تطييب خاطر السائل بطرافة راقية.

الخصائص البلاغية والتربوية لأسلوب الحكيم:

لقد وظّف النبي –صلى الله عليه وسلم– هذا الأسلوب توظيفًا بليغًا في الحديث الشريف، فكان أداة إصلاح وتعليم وتوجيه، يتجاوز فصاحة اللسان إلى عمق التأثير النفسي والتربوي. ومن أبرز خصائصه:

١. تجنّب المجادلة والمواجهة المباشرة:

يتجنّب المتكلّم في هذا الأسلوب المجادلة مع المخاطب، ولا يُحرجه أو يُجبره على الدفاع، بل يُحوِّل دفته برفق نحو ما هو أنفع. مثال: قالت عائشة –رضي الله عنها–: "هو طائر من طيور الجنة." فقال –صلى الله عليه وسلم–: "أو غيرَ ذلك يا عائشة؟! إن الله خلق للجنة أهلًا...[17]"

التحليل:

ليس فيه إنكار مباشر، بل توجيهٌ لطيف إلى أن الحكم في الغيبيات لا يُبنى على الظن، بل يحتاج إلى وحي.

مثال آخر: حين جاء شابٌ إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– يطلب الإذن بالزنا، استنكر الصحابة فعلته، لكن النبي –صلى الله عليه وسلم– اقترب منه وسأله بعض الأسئلة الأخلاقية: "أتحب ذلك لأمّك؟" "أتحب ذلك لابنتك؟" "لأختك؟..."حتى اقتنع الشاب ذاتيًّا بخطورة الفعل. ثم وضع النبي –صلى الله عليه وسلم– يده على صدره ودعا له، فخرج الزنا من قلبه[18].

التحليل:

كان بإمكان النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يُنكر بشدّة، لكنه اختار طريق الحكمة والرحمة، فأصلح باطن الشاب من غير إهانة ولا قسوة. وهذا من أعظم ثمار أسلوب الحكيم.

---

(16) صحيح أبي داود (رقم الحديث 4998)

(17) صحيح مسلم (رقم 2662)

(18) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب السير، باب في فضل الجهاد في سبيل الله، (١٦١/٩)، رقم الحديث: ١٨٩٧٧، الناشر:مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط: ١٣٤٤هـ /مسند أحمد، (٥٤٥/٣٦)، رقم الحديث: ٢٢٢١١، الناشر:مؤسسة الرسالة، ط:١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م

٢. رفع الحرج بلينٍ ورحمة:

يتميّز أسلوب الحكيم بقدرته على إزالة الحرج والشعور بالذنب أو الخجل دون صدام أو جرح للمشاعر، بل يتم كل ذلك في إطارٍ من اللطف والرحمة، مما يترك في النفس أثرًا عميقًا وإصلاحًا دائمًا.

مثال نبوي: عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "بينما نحن جلوس عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله، هلكتُ!" قال: "وما أهلكك؟" قال: "واقعتُ أهلي في رمضان." قال: "هل تجد رقبةً تعتقها؟" قال: "لا." قال: "فهل تستطيع صيام شهرين متتابعين؟" قال: "لا." قال: "فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟" قال: "لا." فمكث النبي –صلى الله عليه وسلم–، ثم أُتي بعَرَقٍ (وعاء) فيه تمر، فقال: "أين السائل؟" قال: "أنا." قال: "خذ هذا فتصدّق به." قال: "يا رسول الله! والله ما بين لابتيها أهلُ بيتٍ أفقرُ منّا!" فضحك النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى بدت نواجذه، ثم قال: "أطعِمه أهلَك.[19]"

التحليل:

رغم أن هذا الرجل وقع في معصية عظيمة في رمضان، فإن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يُعنّفه، ولم يُحرجه، ولم يُشعره بالإثم بشكل مباشر، بل أجابه بسلسلة من الخيارات التربوية بحسب قدرته:

1. تحرير رقبة
2. صيام شهرين
3. إطعام ستين مسكينًا

ولما عجز عن كل ذلك، جعل النبي –صلى الله عليه وسلم– من الكفارة رزقًا له ولأهله، وأظهر –صلى الله عليه وسلم– البسمة في وجهه، وهذا من أسمى نماذج البلاغة الإصلاحية النبوية، التي تُصحّح دون صدام، وتُربّي دون إهانة.

٣. قلّة الألفاظ وعمق المعنى:

من أبرز سمات أسلوب الحكيم في كلام النبي –صلى الله عليه وسلم–: الاقتصاد في الألفاظ مع الغزارة في المعاني، حيث يُعبَّر بالقليل عن الكثير، ويُودَع في الكلمات المختصرة معانٍ تهزّ القلب والعقل معًا، فلا إسهاب، ولا تكلّف، بل كلام موزون يفيض بالحكمة، ويفتح أبوابًا من الفهم والتأمل لدى المتلقي.

مثال نبوي: قال رجل للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "يا رسول الله، متى الساعة؟" فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: "وماذا أعددتَ لها؟" ثم دار الحديث، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "أنتَ مع من أحببت."

التحليل:

إن في هذا الحديث جملة قصيرة جدًّا: "أنت مع من أحببت." لكنها تحتوي على:

إخلاص النية: فالمعيار ليس العمل فقط، بل صدق المحبة.

---

[19] صحیح بخاری کتاب: الصوم (روزوں کا بیان) باب: "اذا جامع فی رمضان ولم یکن لہ شیء فتصدق علیہ فلیکفر "حدیث نمبر: 1936"

ومنهج الصحبة: فمن أحبَّ قومًا، تأثّر بهم في أعمالهم وسيرهم.

وبشرى عظيمة: للمحبين الصادقين الذين لم يبلغوا درجة أعمال من يحبون.

ترغيبٌ في حبّ الصالحين، وفي الاقتداء بهم.

وحسن الخاتمة: لأن الإنسان يُحشر مع من أحبّ.

هذه جملة من ثلاث كلمات عربية، لكنها اختزلت: العقيدة، والسلوك، والمآل، وهذا هو جوهر البلاغة النبوية: كلمات موجزة تحمل كنوزًا من الهداية.

أسلوب الحكيم ومنهج التعليم والدعوة

لم يكن أسلوب الحكيم عند النبي –صلى الله عليه وسلم– مجرد بلاغة لفظية، بل كان منهجًا تربويًّا وتعليميًّا متكاملًا، يجمع بين الإقناع، واللطف، وتحريك الوعي، والإصلاح العميق. وقد تجلّى هذا المنهج النبوي في جوانب متعددة من أساليب التعليم والدعوة، من أبرزها:

١. تنمية التفكير النقدي

الحديث: جاء رجل إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: "يا رسول الله، متى الساعة؟" فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: "وماذا أعددتَ لها؟[20]"

الوجه التعليمي:

النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يُجب عن "الوقت"، بل وجّه السائل إلى "المسؤولية"، فبدلًا من تغذية الفضول النظري، حرّك النبي –صلى الله عليه وسلم– الوعي الداخلي، ودرّبه على التفكير في الإعداد والعمل، لا فيما لا طائل منه من الغيب، وهذا من أصول التفكير النقدي المعاصر: أن نبحث عما يجب أن نفعله، لا فقط عما نجهله.

٢. تصحيح المفاهيم برفق:

الحديث: قال رجل: "وُلد لي غلام أسود!" فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم–: "هل لك من إبل؟" قال: "نعم." قال: "فما ألوانها؟" قال: "حُمر." قال: "هل فيها أورق (أي: مختلف اللون)؟" قال: "نعم." قال: "ومن أين أتى ذلك؟" قال: "لعله عرق." قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "فلعل ابنك هذا نزعه عرق.[21]"

الفائدة التعليمية:

إن النبي –صلى الله عليه وسلم– لم يُجب بفتوى أو توبيخ، بل ساق مثالًا مألوفًا من بيئة السائل، أوصله إلى الجواب بنفسه، وهذا من أعلى مراتب التعليم النفسي: أن يُصحّح المفهوم الخاطئ دون صدمة أو حرج، بل بالتفكير والمقارنة والاستنتاج.

٣. الإصلاح مع مراعاة الحياء والمشاعر:

---

[20] صحيح البخاري، (رقم 3688)

[21] صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد، (٥٣/٧)، رقم الحديث: ٥٣٠٥/ صحيح مسلم، كتاب اللعان، (١١٣٧/٢)، رقم الحديث:١٥٠٠

الحديث: قال رجل: "يا رسول الله، هلكتُ! واقعتُ أهلي في رمضان." فسأله النبي –صلى الله عليه وسلم– عن قدرته على: عتق رقبة، أو صيام شهرين، أو إطعام ستين مسكينًا. فلما عجز عن كل ذلك، أعطاه تمرًا، وقال له: "خذه فأطعمه أهلك.[22]"

٤. التربية مع حسن المزاح:

روى أنس بن مالك –رضي الله عنه–: أن رجلًا قال للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "يا رسول الله، احملني على الناقة!" فقال –صلى الله عليه وسلم–: "إنا حاملوك على ولدِ ناقة.[23]"فقال: "وما أصنع بولد ناقة؟! "فقال – صلى الله عليه وسلم–: "وهل تلد الإبل إلا النوق؟

الفائدة التعليمية:

هذا موقف تربوي فريد، اجتمع فيه:

عدم التوبيخ رغم خطورة الفعل، والتدرّج في تقديم البدائل، والانتهاء إلى حل عملي واقعي، والحفاظ على كرامة السائل ومشاعره

وهو نموذج مثالي لما يُعرف اليوم بـ«التعليم المتعاطف»، الذي يُراعي مشاعر المتعلم وظروفه دون تفريط في المبدأ.

الوجه التعليمي:

هذا مثال رائع على استخدام المزاح في التعليم والتوجيه، حيث جمع النبي –صلى الله عليه وسلم– بين اللطف والذكاء، والصدق دون خداع، وتبسيط المفهوم بطريقة طريفة.

لم يكن في الحديث سخرية أو تسفيه، بل فكاهة راقية تحفّز الفهم وتُلطّف الموقف، وهي مهارة تربوية راقية يحتاج إليها المعلم والداعية، خاصة في التعامل مع العامة أو الطلبة الصغار.

٥. التنبيه غير المباشر في المسائل العقدية الدقيقة:

الحديث: عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: "دُعي رسول الله إلى جنازة طفل من الأنصار، فقلت: طوبى له، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل سوءًا قط، ولم يُدرِكه البلاء." فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– : "أَوَ غير ذلك يا عائشة؟! إن الله خلق للجنة أهلًا وهم في أصلاب آبائهم.[24]"

الوجه التعليمي:

في هذا الموقف، لم يُنكر النبي –صلى الله عليه وسلم– على عائشة –رضي الله عنها– قولها بأسلوبٍ قاسٍ أو تهكمي، بل نبّهها بلطف إلى التوقف عن الجزم في أمرٍ غيبي لا دليل عليه، وهذا ما يُعرف في التربية الحديثة بـ«التوجيه غير المباشر»، وهو من أنجع الوسائل لغرس التفكير النقدي، والابتعاد عن الأحكام الظنية في العقيدة.

---

[22] صحيح البخاري كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان حديث نمبر: 1936 ،صحيح مسلم كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم ووجوب الكفارة الكبرى فيه حديث نمبر:

[23] سنن أبي داود كتاب الأدب، باب المزاح حديث نمبر: 4998 (صحيح السند) ،مسند أحمد بن حنبل جلد 3، صفحہ 150 حديث مرفوع

[24] صحيح مسلم (رقم 2662)

الخاتمة:

إن سيرة النبي –صلى الله عليه وسلم– ليست مجرّد سجلٍّ للعبادات والروحانيات، بل هي منهج متكامل في التعليم والدعوة، ونموذج تطبيقي شامل للحياة.

لقد تميز أسلوبه في التبليغ والتعليم بالحكمة، واللين والرحمة ومراعاة حال المخاطب وظرفه واستخدام التدرّج، والسؤال والجواب وتوجيه الفكر وتصحيح المفاهيم وضرب الأمثال والمواقف التطبيقية، ولذا كانت كلماته تخاطب العقل والقلب معًا، فتؤثّر، وتُفهم، وتُطبّق.

لم يكن تعليمه مجرد نقل معلومات، بل كان يضيء العقول، ويهذّب النفوس، ويصنع شخصيات عاملة واعية، وفي زماننا هذا، حيث ينتشر الاضطراب الفكري والانحراف الأخلاقي والضعف الديني، تشتد الحاجة إلى إحياء هذا الأسلوب النبوي في الدعوة والتعليم، فإنه لا سبيل إلى إصلاح الأمة إلا بتبنّي هذا المنهج الرسالي، الذي يجمع بين قوة الحجة ورقّة الكلمة وصدق النية وسموّ المقصد وعلى العلماء والمربين والدعاة والمعلمين أن يجعلوا من هذا الأسلوب مرجعًا لهم، حتى لا يبقى خطابهم مجرد ألفاظ تُقال، بل رسائل تُغرس في القلوب وتُترجم إلى سلوكٍ وأعمال. فبمنهج النبي –صلى الله عليه وسلم– تنبعث الحياة من جديد في العقول والقلوب، ويعود للإسلام أثره في إصلاح الفرد والمجتمع، علمًا وعملًا، فكرًا وسلوكًا.